النظرية السيميائية السردية وتجلياتها في التجربة النقدية للسعيد بنكراد

Narrative Semiotic Theory and its Manifestations in the Critical Experience of Saeed Benkrad

طالبة دكتوراه : قمولي فاطمة
الأستاذ الدكتور : محمد الأمين شيخة

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة الوادي (الجزائر)
guemmouli2003@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2023/05/01 تاريخ القبول: 2023/08/26 تاريخ النشر : 2023/12/05

ملخص:

تعدّ تجربة الناقد المغربي السعيد بنكراد واحدة من بين أهم التجارب المتميزة والمتفردة في النقد العربي عامة والمغاربي خاصة، إذ يتحكم فيها وعي نقدي وثقافي يحاول تكييف المناهج النقدية الغربية وطبيعة النص المعالج، والمطلع على أعمال الناقد يدرك أصالة هذه التجربة وتنوع مصادرها وآلياتها، هذا التنوع المنهجي كان له انعكاس واضح على طريقة مساءلة النصوص وفق المنهج السيميائي المنفتح على الأبعاد الأيديولوجية والتأويلية، ومن هنا جاءت هذه الدراسة للكشف عن معالم النقد السيميائي في تجربة السعيد بنكراد تنظيرا وتطبيقا، وتتبع التطور المنهجي في هذه التجربة من خلال بعض من مؤلفاته، كما تسعى لإبراز الآليات التي اعتمدها في قراءاته السيميائية لمختلف أشكال النصوص السردية، مع الحرص على بيان خصوصيات تلقيه وتطبيقه للمنهج السيميائي .

الكلمات المفتاحية: النظرية السيميائية - السرد – النقد –القراءة - التأويل – السعيد بنكراد .

Abstract:

Saeed Benkrad, a Moroccan critic, espouses a distinctive and singular perspective in Arab criticism, particularly within Moroccan context. His critical and cultural consciousness adapts Western critical methodologies to suit the specific nature of the text under examination. Those familiar with Benkrad's works appreciate the authenticity and diversity of his sources and mechanisms. This methodological diversity manifests in his semiotic framework, which scrutinizes texts with a receptive and perceptive approach to ideological and interpretive dimensions.

The primary aim of this study is to uncover the semiotic features of Benkrad's critical perspective, both theoretically and practically, while charting the methodological evolution of his approach through selected works. Moreover, this study seeks to accentuate the mechanisms utilized in his semiotic readings of various narrative texts, while highlighting the unique attributes of his reception and implementation of semiotic methodology.

Keywords: Semiotic Theory - Narration- Criticism - Reading - Interpretation - said Benkrad.

مقدمة:

شهد النقد الأدبي في القرن الماضي نقلة نوعية في مناهج قراءة العمل الأدبي، فبعد أن كانت عنايته ترتكز على مؤلف العمل ومحيطه الخارجي، أصبح اهتمام النقاد اليوم منصبا على العمل في حد ذاته، ويعتبر المنهج السيميائي من بين أهم المناهج الحداثية التي لقيت رواجا كبيرا في النقد الغربي، وذلك لما لهذا المنهج من قدرة على مساءلة النصوص والكشف عن خباياها ومعانيها الضمنية، ولم يكن النقد العربي عامة والنقد المغاربي خاصة بمعزل عن هذه التحولات المنهجية، فقد عرف هو الآخر نزوحا نحو المناهج النصية بما فيها المنهج السيميائي، فراح النقاد العرب يتسارعون إلى تلقف مقولات وأسس هذا المنهج محاولين تطبيق آلياته وأدواته الإجرائية على نصوص شعرية وسردية عربية، ويأتي الناقد المغربي " السعيد بنكراد في مقدمة النقاد العرب عامة والمغاربة خاصة الذين ساهموا في نقل أسس هذا المنهج إلى النقد العربي ترجمة وتنظيرا وتطبيقا، خاصة في مجال السرديات،

يعتبر السعيد بنكراد النظرية السيميائية السردية " من أهم النظريات التي عرفها القرن العشرين" (بنكراد، 2006)، فخلافا للنظريات السردية التي ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين، تتميز هذه النظرية بكونها تركز على قضايا المعنى، فحدودها تستعصي على الضبط والإدراك خارج آليات إنتاج المعنى واستثماره في وقائع محسوسة[1]، هذه الخاصية التي جعلت من السيمائية السردية نشاطا معرفيا يتجاوز حدود النصوص السردية، ليشمل كل الوقائع الدالة الناتجة عن الممارسات الإنسانية بمختلف أشكالها (الصور، الإيماءات، الطقوس، الانفعالات...)، وانطلاقا من هذا التصور سعى بنكراد إلى إرساء قاعدة نقدية سيميائية في النقد المغاربي تسير جنبا إلى جنب مع ما يحدث من تطورات في مجال النقد السيميائي الغربي، مع محاولته دائما تطويع أسس هذه النظرية مع طبيعة النص العربي، فالمتتبع للمسيرة العلمية والتأليفية للناقد منذ بداية التسعينات من القرن الماضي إلى يومنا هذا، يدرك سعي بنكراد إلى تقريب الدرس السيميائي إلى الباحث العربي سواء من خلال أعماله التنظيرية ، أو من خلال مقاربته لبعض المتون السردية العربية، محاولا من خلال ذلك تفعيل

المسار السيميائي السردي العربي، ومن هنا جاءت دراساته بعيدة عن الانبهار بالآخر، حريصة على تجاوز التطبيقات الميكانيكية الجاهزة والحتميات القطعية الناتجة عن الخطاطات الثابتة، كما جاءت لتوسيع فضاء السؤال حول أبعاد النظرية السيميائية السردية في النقد العربي، لذلك ارتأينا تبين أفكار الناقد السيميائية ونواياه القرائية بجلاء من خلال بعض مؤلفاته النقدية،محاولين من خلال ذلك الإجابة على الإشكالات التالية: هل وفق السعيد بنكراد في تمثّل مقولات السيميائية السردية؟ وإلى أيّ مدى استطاع مسايرة التطورات المنهجية السيميائية في النقد الغربي؟وهل نجح الناقد في التوفيق بين الأفكار والرؤى النظرية للسيميائية السردية والممارسات التطبيقية؟

أولا:السميائيات السردية (مدخل نظري):

يعد هذا المؤلف من بين أشهر الكتب في النقد العربي التي سعت إلى تعريف الباحث العربي بأهم أسس ومفاهيم النظرية السيميائية السردية الغريماسية، ويعود سبب تأليف هذا الكتاب، الذي خصصه بنكراد للتعريف بالنظرية الغريماسية وبأصولها وبخاصة التراث البروبي، هو ذلك القصور والخلل الذي عاينه الباحث في المؤلفات العربية التي حاولت التعريف بهذه النظرية أو بغيرها من النظريات الوافدة من الغرب، يقول:" إنّ المتصفح للمنشورات الصادرة في المغرب وفي بعض الأقطار العربية الأخرى، يدرك بشكل جلي هذا القصور، فغالبا ما تكون المنشورات عبارة عن ترجمة لمقالات أو أجزاء من كتاب، وأحيانا تعاليق مختصرة عن نظرية أو مجموعة من النظريات، ورغم أهمية هذه المنشورات وقيمتها التعليمية فإنّها تظل ناقصة ... لأنها تقدم مفصولة عن أسسها الابستمولوجية والمناخ الذي ولدت فيه"[2]، الأمر الذي قد يعيق القارئ -حسب رأي بنكراد- عن إدراك الفروقات بين مختلف النظريات والمفاهيم النقدية، كما أنّه لا يستطيع بذلك إدراك انتماء المصطلح لأكثر من مدرسة نقدية،

فعلى الرغم من الانتشار الكاسح للنظريات الغربية في الساحة النقدية العربية إلا أنّنا نادرا ما نعثر على نظرية شاملة ومتكاملة، حيث يتم عزل هذه النظرية أو تلك عن مناخها وأصولها الفكرية والفلسفية التي ساهمت في نشأتها، ذلك أنّ المناهج النقدية في رأي بنكراد تتبلور وتتطور انطلاقا من مجموعة من المعايير، يقسمها بنكراد إلى:

- **المعيار الإبستمولوجي**:فلا يمكن قراءة نظرية أو استيعاب مبادئها بعيدا عن منابعها وأصولها التي انبثقت منها، كما أنّه لا تخلو أي نظرية من بصمات إيديولوجية تحكم بناءها ومقاصدها وغايتها،" فاستيعاب النماذج في أصولها ومساءلة أبعادها الابستمولوجية هو وحده السبيل إلى فهم هذه النظريات، وبالتالي إغناء معرفتنا بأنفسنا ومعرفتنا بالآخر"[3]

- **المردودية التحليلية** : وذلك من خلال المزج بين المنهج والنص، فيصبح بذلك التنظير تطبيقا والتطبيق تنظيرا، وهذا الآخر لن يحدث إلا بربط المنهج بأصوله.

انطلاقا من هذه المعايير سعى بنكراد إلى تقديم " نظرية غريماس السيميائية" بأكبر قدر من الشمولية والعمق، أما عن أساب اختيار الناقد لهذه النظرية دون غيرها من النظريات السردية، فيمكن إجماله في النقاط التالية:

- أنّ هذه النظرية تقارب النصوص في حدود طرحها للمعنى كهدف وغاية للتحليل،" فحدودها الوصفية تستعصي على الضبط والإدراك خارج آليات إنتاج المعنى واستثماره في وقائع محسوسة"[4]،
- شمولية نظرية غريماس واستيعابها لعناصر شتى من نظريات سردية أخرى .
- قدرة نظرية غريماس – نظريا وتطبيقيا – على تجاوز النصوص السردية إلى الاهتمام بكل الوقائع الدالة التي تنتجها الممارسة الإنسانية،ويندرج ضمن ذلك : الصورة والإيماءات الجسدية والطقوس والخطابات وغيرها..

لقد حاول بنكراد من خلال دراسته هذه الإلمام بنظرية غريماس استبداليا وتوزيعيا من خلال العودة إلى أعماله، غير أنّ الإحاطة بأعمال وأراء المدرسة التي أسسها - حسب رأي بنكراد- عمل يتطلب جهدا أكبر ومعرفة أوسع .

خصص بنكراد الفصل الأول من مؤلفه هذا للحديث عن الأصول والروافد التي قامت عليها نظرية غريماس السردية، والتي تتمثل في " الإرث البروبي" والإرث اللساني السويسري، ومدرسة براغ، وأعمال برونديل وهيمسبيف، والإرث الفرنسي (تنير وسوريو)، معرجا على الكثير من المفاهيم والأطروحات التي قدمها "بروب"، ومقدما قراءة " كلود لفي شتراوس" لهذا النموذج، والانتقادات التي يوجهها إليه، ليعرض بعد ذلك قراءة غريماس لذات المشروع، مبينا إشادة غريماس بهذا النموذج، رغم بعض التعديلات والإضافات التي يقدمها انطلاقا منه.كما تطرق بنكراد أيضا في إطار التأصيل لهذه النظرية إلى نموذجي " سيرويو وتنيير" مبينا أهمية هذين النموذجين بالنسبة لمشروع غريماس السيميائي.

ينتقل بنكراد بعد ذلك وفي القسم الثاني من أقسام الكتاب إلى طرح الجهاز المفاهيمي لهذه النظرية وذلك على النحو التالي:

- **أولا التنظيم العميق**: تناول فيه النموذج التكويني الذي يقوم عليه هذا التنظيم، كما وضح الناقد كيفية تسريد هذا النموذج، أي كيفية الانتقال من بنية دلالية بسيطة إلى خلق نص سردي ، ثم يفصل بعد ذلك في الحديث عن " البنية الدلالية البسيطة" موضحا العلاقات القائمة بين أطرافها.

- **ثانيا: التنظيم السطحي**: تعرض الناقد في هذه النقطة إلى مفهوم البنية السطحية، معرجا على أهم المفاهيم التي تنطوي تحتها، من ذلك: النموذج العاملي، البرنامج السردي، الخطاطة السردية...
- **ثالثا: المسار السردي ونمط الوجود السميائي** : ويقصد بذلك سلسلة التقابلات بين مراحل الخطاطة السردية، وكذا أنماط الوجود السيميائي.
- **رابعا: من السردي إلى الخطابي**: وتتم هذه العملين وفق مستويين : التيمي والصوري: تحدث في المستوى الأول عن كيفية الانتقال من السردي إلى الخطابي، وتعرض في المستوى الثاني، لمجموعة من الإجراءات التحليلية، تتمثل في : الممثل، التفضية ، التزمين.

لقد حاول بنكراد من خلال دراسته هذه إعطاء نظرة شاملة عن هذه النظرية النقدية، إلا أنه يرى أنها لم تحط بكافة جزيئاتها " فتلك مهمة صعبة يستحيل انجازها وتحقيقها في عرض متوسط كهذا"[5]، ويعود السبب في ذلك حسب رأيه إلى أنّ بعض الجوانب من هذه النظرية لا يمكن الإحاطة بها وفهم جوهرها إلا من خلال الممارسة التطبيقية.

ومما يميز عرض بنكراد هذا ذكره لبعض هفوات هذه النظرية ومواطن قصورها كلّما استدعى الأمر ذلك، فلم يجعل " هذه النظرية كيانا يعلو كل النظريات، ولا بديلا أسمى لكل المقاربات، فلا وجود لنظرية من هذا النوع، ولا يمكن لأي نظرية أن تجيب عن كل التساؤلات ولا أن تحل محل كل النظريات.[6]

يرى عبد الله أبو هيف أنّ مؤلف بنكراد هذا قائم على " الانبهار المطلق مثل باحثين ونقاد كثر بنظرية غريماس إلى حد الاستسلام لمصطلحاتها وآلياتها واستهدافاتها"[7] ، كما يعتبر أنّ ما قام به بنكراد لا يمثل سوى "عرضا يميل إلى الإيجاز والاقتصار على بعض العناصر ، ومن هذه الناحية يعد شغل العجيمي أشمل وأكثر مقاربة ، لأنّه ألحقه بنقد تطبيقي، وهو الأمر الذي نشده على بنكراد ولم يقم به على أهميته في مدنا بمعرفة أكبر لهذه النظرية، وعلى تحديد مردوديتها وقصورها ومواضع ضعفها"[8]

ويشير بنكراد إلى أنّ تأليفه لهذا الكتاب كان اعترافا منه بجميل غريماس، فقد كان أستاذه في فرنسا، وكانت بدايته في السيميائيات على يديه، إلّا أنّ هذا الكتاب أخذ فيما بعد مسارا آخر، وعرف انتشارا واسعا لم يكن الناقد نفسه يتوقعه، كما يرى أنّ هذا الكتاب لا يعدو أن يكون تعليميا لايقوم سوى بعرض لنظرية مدرسة باريس بشكل محايد، أراد من خلاله إطلاع الناس على هذه النظرية من خلال صيغة شاملة تحيط بكل جوانبها.[9]

وعلى الرغم مما وجه لهذا المؤلف من انتقادات فإنّه يعتبر من بين أهم المؤلفات التي عرفت الناقد العربي بالنظرية الغريماسية، من خلال طرحه لأصولها وروافدها، ومفاهيمها ومكوناتها

بكثير من الوعي، مشيرا في الوقت نفسه إلى مواطن ضعفها وقصورها[10]، كما أنّ بنكراد قد سعى في مؤلفاته التي جاءت بعد إلى تجاوز ما وجه له من انتقادات في مؤلفه هذا وذلك من خلال إتباعه الجانب النظري بآخر تطبيقي يحدد مردودية النظرية ومواضع ضعفها.

ثانيا : النص السردي نحو سميائيات للأيديولوجيا:

تناول الباحث في هذا المؤلف مجموعة من القضايا المتعلقة بالتدليل كما تؤسسه آليات النص السردي عبر الأيديولوجيا والسرد وعالم الممكنات، هذه الأبعاد الثلاثة يعتبرها الناقد" مكونة لماهية النص السردي ومكونة لأسس تلقيه وتأويله وسبل التفاعل معه، فعبر هذه الآفاق يتم استشراف الآفاق التي يفتحها " الوجه الخفي" للدلالة أمام مسارات التأويل والقراءات المتنوعة"[11]

لقد سعى بنكراد من خلال دراسته هذه تجاوز الطرح السيمائي البنوي، وذلك من خلال معالجته للنصوص انطلاقا من التصور الذي يقول ب" بإمكانية تحديد تخوم سيميائيات للأيديولجيا انطلاقا من كل المعطيات النظرية التي جاءت بها السرديات المعاصرة"[12]، ويتبنى بنكراد في مؤلفه هذا وجهة نظر جديدة على مستوى الأداة والمضمون، وذلك بالجمع بين مختلف التوجهات النظرية التي جاءت بها مختلف النظريات السردية المعاصرة،

يقدم الناقد تحديدا لبعض المفاهيم الأساسية التي ترتكز عليها هذه الدراسة والتي تتمثل في:

- الأيديولوجيا ويعني بها "تحيين القيم في وقائع خاصة، وإعادة تعريفها، وإعادة التعريف هي حذف خصائص أو إضافتها إلى ما يشكل المدخل الرئيسي لتعريف الظاهرة"[13]، فالأديولوجيا ما هي إلا عملية استحضار للقيم الاجتماعية والثقافية في النص السردي عن طريق اعتماد عنصر الإبداع الخلاّق من طرف مؤلف النص، إنّ الإيديولوجيا تشمل كل ما يتعلق بالعالم الواقعي، الذي يتجسد على شكل أفعال ومواصفات وقيم وأدوار اجتماعية، أصبحت فيما بعد بديهيات يعرفها ويعيها عامة الناس.

- عالم الممكنات ويتمثل في " المتخيل وعلاقته بالواقعي، فالرحلة من المتخيل إلى الواقعي تمر عبر تسنين سردي وتسنين إيديولوجي "[14] ويتمثل التسنين السردي في النصوص السردية المتضمنة لفعل القص، في حين يتمثل التسنين الإيديولوجي في تشخيص القيم وإعادة بنائها في النص السردي،

- التسنين، والذي يعده الناقد" تكثيفا للممارسة الإنسانية بكل أبعادها ومستوياتها سواء تعلق الأمر بالسلوك العملي وطقوسه المتنوع، أو ما تعلق بالممارسة الذهنية، أي المجال الخاص بالحكم على الأشياء والأفعال"[15] ، ويعتبر بنكراد عملية التسنين ضرورية ومهمة في قراءة النص

السردي، ذلك أنّ تكرار الأفعال الإنسانية يحولها إلى قيم وعادات مترسخة في الوعي الجماعي، هذه القيم التي تشكل فيما بعد معيارا عرفيا يتحكم في سلوكات الأفراد والمجتمعات، وقد أولى الباحث أهمية كبيرة لهذا المصطلح باعتباره المحدد للسلوك الإنساني ونمط إدراك الأشياء، كما أنّه يعتمد عليه في قياس درجة التطابق أو الانزياح عن الأصل، فهذه محددات السلوك الإنساني، وهي نفسها محددات سلوك الشخصيات داخل النص السردي.

- الإرغامات السردية ويقصد بها المواجهات التي تفرض على المستوى السردي حتى يكون مطاوعا لهدف محدد مسبقا، أي أن يكون النص السردي معبرا عن وجهة نظر معينة، كما يشير بنكراد إلى أنّ الإرغامات التي تمارس على التسنين السردي تؤخذ من ثلاث زوايا، تتمثل في : الجانب التلفظي ، والذي يتمثل في وضع السارد، وجانب عرض المادة والهيكل السردي، وطريقة بناء الشخصيات،

ويفصل بنكراد بعد ذلك في معاني هذه المفاهيم وأنواعها ومستوياتها مستعينا في ذلك بآراء أعلام النقد الغربي (أمبيرتو إيكو، كول شايرول، بول ريكور، غريماس، رولان بارت، يوري لوتمان وغيرهم) ، ليصل بنكراد من خلال تحليله إلى أنّه " في ضوء كل هذه العناصر، نمط العرض ونمط بناء الهيكل السردي، ونمط بناء الشخصيات ينهض الجهاز الإيديولوجي (المتناص العقائدي) باعتباره الركيزة التي يقوم عليها النص وينسج دلالته ويؤول أيضا"[16]، و يعتبر بنكراد " النشاط الأدبي نشاطا إيديولوجيا بامتياز"[17].

وما يلاحظ على عرض بنكراد النظري اعتماده على النصوص السردية التي تحمل إيديولوجيا سابقة عن الوجود النصي في حين أنّه لم يول أهمية للنصوص السردية التي تحمل إيديولوجيا موازية للعمل السردي ولا تكتمل إلا باكتمال الأعمال الأدبية، أضف إلى ذلك أنّ ما ذهب إليه بنكراد يصح إذا وسعنا من مفهوم القيم ليشمل الإيديولوجيا بصفة عامة، لا أن يعبر عن معنى اجتماعي أو اقتصادي فقط.

وبناء على هذا التصور النظري، قدم الباحث دراستين تطبيقيتين: الأولى قراءة لرواية " الضوء الهارب لأحمد برادة، تناول فيها علاقة الجسد بالسرد ومقتضيات المشهد الجنسي، و يصرح بنكراد في بداية تحليله أنّ " هذه القراءة لا تشكل إحاطة كلية بالوقائع المسرودة والموصوفة في النص، كما لا تدعي تقديم تأويل شامل ونهائي، إنها قراءة جزئية"[18]، يرى بنكراد أنّ هذه الدراسة لا ترغب في الوصول إلى دلالة نهائية للنص، إنّما تسعى لمساءلة مجموعة من "الوقائع النصية " وتحديد موقعها ووظيفتها داخل إطار النص المحلل.،وتحاول في الوقت نفسه تلمس مظاهر التدليل وتجلياته داخل نص الرواية، والبحث عن " الوقع الإيديولوجي" الذي تتركه عملية التمثيل التشخيصي، لقد كانت غاية الباحث من خلال هذه المقاربة تتبع الآثار

التي تتركها الذات الفاعلة والتي ينتج عنها فعل السرد وفعل الوصف، وانطلاقا من هذه المبادئ عمل بنكراد على تحليل النص الروائي باعتباره سردا للجسد الإنساني في حالاته وأوضاعه المختلفة، وكذلك تسريد هذا الجسد عبر ثنائية: المذكر والمؤنث، وفي الأخير يرى بنكراد أنّ " متعة القراءة لا يمكن أن يولدها إلا نص ممتع، وكانت رواية الضوء الهارب نصا ممتعا حقا"[19]

أمّا القراءة الثانية فقد خصصها الناقد لرواية " الشراع والعاصفة" لـ"حنا مينا"، وقد حاول من خلالها تسليط الضوء على ما سماه بـ" زمن الاستئناس" عمد الناقد في بداية هذه المقاربة على تقديم تصور عام للنص الروائي بتمفصلاته ومفاصله الكبرى ، لينتقل بعد ذلك إلى علاقة هذه الوقائع بعنصرها المولد، والمتمثل في "الإرغامات التي يفرضها الجهاز الأيديولوجي على نمط بناء وبلورة القيم الدلالية التي يعد النص مهدا لها ولاحقا لوجهها التجريدي"[20]، وفي الأخير يصل بنكراد إلى أنّ هذه القراءة وقفت عند حدود ضبط آليات اشتغال النص عبر المتناص الإيديولوجي، وضبط آليات المتناص الأيديولوجي عبر مكونات النص،

لقد عمل بنكراد على تقديم مقاربات سيميائية تطمح إلى تجسيد مقولات السيميائية السردية، برؤى جديدة، إلا أنهّ يعتبر أنّ هذه القراءة ليست نهائية ولا كلية، إنّما هي تصورات خاصة محكومة بمنطلقات متعلقة بكيفية اشتغال هذا النوع من الروايات، وانطلاقا من هذه الرؤية الجديدة في مقاربة النصوص السردية يتهيأ للطرح السيميائي إمكانية الوصول إلى المعنى بعيدا عن الحدود الشكلية للعمل الأدبي، و بالاتكاء على معطيات الممارسة التأويلية، التي تسمح بتعددية القراءة حسب خصوصية كل قارئ.

ثالثا: سميولوجيا الشخصيات السردية:

يخصص بنكراد هذا المؤلف للحديث عن الشخصية انطلاقا من مقترحات الدرس السيميائي المعاصر، فسعى بنكراد من خلال دراسته هذه إلى تجاوز التصورات النقدية التي اعتبرت الشخصية مكونا دلاليا منعزلا عن بقية عناصر العمل السردي من جهة وعن سياقه الثقافي من جهة أخرى، ذلك أنّ الشخصية ما هي إلا "خزان ثقافي تشتق منه الترسيمات الفنية والدلالية والتركيبية على حد سواء، فالتلوين الثقافي ليس وليد الكوني والعام، بل مثواه الخصوصي والمتميز"[21]، ومن ثمة فقد عمد الباحث إلى الربط بين عملتي خلق وتلقي الشخصية السردية، إيمانا منه بضرورة تفعيل البعد الثقافي في مقاربة الشخصية السردية وتتبع حركاتها وتمظهرها داخل النص الروائي، ذلك أنّ الوجود الفني للشخصية لا يتحدد إلا من خلال " خلق سلسلة من الانزياحات التي تدرك كوجود جديد يربط بين المخيال والواقعي ضمن دائرة ثالثة يطلق عليها عالم الممكنات"[22]، فالتعامل مع الشخصية باعتبارها عنصرا معطى بصفة مباشرة في النص لن يقودنا" إلا إلى تقديم دراسة تقنية مكتفية بذاتها وعاجزة عن تحديد العوالم

الدلالية التي تعد المبرر الرئيس لوجود أي نص"[23]، وانطلاقا من ذلك عمل الباحث على تقديم مجموعة من النماذج النظرية المميزة في النقد الغربي التي أولت اهتماما بالغا لعنصر الشخصية، وتعاملت معها على اعتبار أنها الأساس في بناء الفعل السردي، وانطلاقا من ذلك فقد قسم فصول الكتاب النظرية بحسب هذه النماذج، وذلك على النحو التالي:

- بناء الشخصية في الحكاية العجيبة البروبية.
- الشخصية بين الحدث والمبنى :عند يوري لوتمان.
- الشخصية في السيميائيات السردية لكريماس.
- الشخصية/ التلقي والبناء الثقافي لفليب هامون.

واستنادا إلى آراء هؤلاء النقاد حول " الشخصية السردية" ، ومن التصور القائل بضرورة ربط تحديد الشخصية بالنسق الثقافي والأيديولوجي، سعى بنكراد إلى مقاربة شخصيات رواية " الشراع والعاصفة" لـ" حنا مينة، وزّع بنكراد هذه الدراسة على فصلين، تناول في الفصل الأول " النسق الأيديولوجي وبناء الشخصيات" مفهومين اثنين: الخطاب المؤطر، وبنية الممثلين، تعرض في الجزء الأول إلى تحليل الحكمة التي بدأت بها الرواية وكذلك طريقة صياغة الخطاب القصصي، ساعيا من خلال ذلك إلى تمييز الشخصية الرئيسية عن بقية الشخصيات، أما الجزء الثاني فقد عمد الناقد فيه إلى وضع الشخصية الرئيسية ضمن الإطار العام للنص الروائي، وضمن السياق الدلالي العام الذي يؤطر هذا النص، مع التركيز على مواصفات الشخصية المساهمة في تحديد البنية الدلالية التي تقود إلى تحديد بنية عامة للتحليل[24]، وذلك من خلال العناصر الفرعية التالية : المواصفة، النسق الثقافي، النسق الأيديولوجي، وبنية الممثلين، ونمط توزيع المواصفات على الشخصيات.

أما الفصل الثاني من القسم التطبيقي فوسمه ب" نسق الشخصيات والبناء العاملي"، وخصصه لاستجلاء بعض المفاهيم السردية في النص الروائي، وتتمثل في : المسار السردي، المواصفات، الأدوار التيمية، ساعيا من وراء كل هذا للوصول إلى البنية العاملية للخطاب الروائي، بالإضافة إلى ذلك يثير الناقد في هذا الفصل بعض القضايا الأخرى التي ترتبط بالشخصيات في النص الروائي: كدال الشخصية ومدلولها، نقاط التصادم في الرواية، والصراع بين العوامل، ودلالة العنوان ،وكلها قضايا تساهم في تعميق فهم القارئ لمقولة الشخصية في الخطاب الروائي.

لقد حاول بنكراد وضع مقارباته السيميائية هذه في موضع يتسم بالخصوصية والتفرد وذلك من خلال الجمع بين توجهات متنوعة – وذلك حسب ما أشار إليه في جزئه النظري- إلا أنّنا نجده في جانبه التطبيقي لا يخرج عمّا جاء به غريماس في نظريته السردية على الرغم من

عرضه للعديد من الجهود النقدية التي تناولت مفهوم الشخصية السردية من منظور سيميائي في الجانب النظري، كما يلاحظ عليه ولعه الشديد بتوليد المصطلحات التي لا تحتاج إلى اختراع أو نحت ولاسيما مصطلحي (التفضي، والتزمين) اللذين يقابلان مصطلحي المكان والزمان.[25]

رابعا: السرد الروائي وتجربة المعنى:

حرص بنكراد من خلال مؤلفه هذا على تقديم رؤية مغايرة هي نتاج ماتوصل إليه من خلال قراءاته للعديد من النقاد والفلاسفة الغرب (بورس، إيكو، ريكور، هوسرل)، فعلى خلاف دراساته السابقة فقد بنى كتابه هذا على تصور أساسه الربط بين أفقين فلا يمكن أن نمسك بعمق التجربة وغناها الدلالي بدون ما يأتي به هذا في علاقته بذاك، فالفهم ليس معرفة بالنص فحسب، بل هو معرفة بالذات التي تقرأ[26]،

لقد حاول الناقد تدارك التعثرات في مقاربته السابقة، وذلك من خلال تخليه عن الخطاطات التحليلية التي عادة ما تتصدر الدراسات التطبيقية من جهة وتحرره من التقيد بمنهج معين من جهة ثانية، وذلك لسببين:[27]

- لا وجود لقراءة عفوية تستند إلى الحدس لا معرفية لكي تنتج معرفة، فأبسط الأحكام تستند إلى فرضية سابقة، انطلاقا منها يمكن قول شيء عن شيء .

- المنهج الواحد خرافة لا تنتج سوى الأوهام، فالقراءة تستند إلى فرضية يبررها وجود نص يبني معانيه استنادا إلى قوانين لا يمكن الكشف عنها إلا بالارتكاز على تصورات تخص إنتاج المعنى وشروط تداوله، فهذه لا تشكل " منهجا " إنّما يمكن اعتبارها " ترتيبات تحليلية " تفيد من تصورات نظرية مختلفة، ذلك أنّ الناقد لا يبحث في النص عما يعرفه سابقا، إنّما يستدرجه التأويل إلى اكتشاف ما لم يتصور من قبل.

لقد سعى بنكراد من خلال مؤلفه هذا إلى توجيه النقد العربي نحو رؤى وآفاق مختلفة، تنظر إلى النقد باعتباره إنتاجا لمعرفة وإمساكا لبطاقة جمالية، وانطلاقا من كل هذا تغيرت نظرة الناقد للكتابة والرؤية والقراءة والمعنى والدلالات و النص،

عالج الباحث في مؤلفه هذا العديد من القضايا التي تتعلق بالمعنى والنظريات النقدية، وكذا بعض المبادئ التي اعتبرها الناقد من الأساسيات التي يجب اعتمادها لبناء نقد عربي ينتج معرفة حقيقية وتبرز خصوصياته في الزمان والمكان.

وانطلاقا من هذه المعطيات الساعية إلى الفصل بين مكونات النص وتجلياته المعنوية، وبين النماذج النظرية وآلياتها التطبيقية، حاول الناقد تسليط الضوء على قصديات مجموعة من النصوص السردية والكشف عن معانيها التي من خلالها تتحقق سيرورة التأويل ، وهي كالآتي:

- الجسد والسرد ومقتضيات المشهد الجنسي : قراءة في رواية الضوء الهارب لأحمد برادة.
- استيهامات الأصل وحقيقة النسخ: قراءة في رواية المرأة والصبي للميلودي شلغوم.
- الحكي واللذة المجهضة: قراءة في رواية دلعون لنبيل سليمان.
- الرواية وبنية الحكي الأسطوري: قراءة في رواية وهم لأحمد المديني.
- الخبز الحافي والعوالم العارية: قراءة في رواية الخبز الحافي لمحمد شكري.
- السرد والتجربة الحسية : قراءة في رواية الصحن لسميحة خريس.
- الخلق والحلم ومقامات الصوفي: قراءة ي رواية " خفق الأجنحة" لمحمد عز الدين النازي.
- "الأنا" بين الممنوع وسلطة الزمن: قراءة في رواية سمر الكلمات" لطالب الرافعي.
- موسم العودة إلى الجنوب: قراءة في رواية دلعون: لبهاء الدين الطود.
- الذات والجلاد وتفاصيل الزنزانة: قراءة في رواية سيرة رماد لخديجة مروازي.

اتسمت مقاربات بنكراد هذه بالتنوع والاختلاف من نص إلى آخر، ويعكس هذا التنوع في الآليات الإجرائية الخطة المحكمة التي اتبعها الناقد سبيلا للكشف عن المعاني والدلالات والإيديولوجيات الكامنة في هذه النصوص السردية، ذلك أنّ " فرضيات القراءة تتخذ من بعض العناصر النصية سبلا منتقاة وفق ما يمكن أن تلتقطه القراءة وتدرجه ضمن مسار بعينه قد تعود إلى تلمس علاقات جديدة هي أساس التحليل وأساس المعنى الذي تود الوصول إليه"[28].

إنّ القراءات التي قدمها بنكراد نابعة عن رؤيا شاسعة ورصيد ثقافي ونقدي واسع، فالجمع بين عديد التيارات النقدية السيميائية نتاج عزم الباحث على بناء نقدي عربي حداثي أساسه تغير أنماط الرؤى النقدية وتحديد الفرضيات في كل خطوة من خطوات تحليل النصوص وتمثل المعنى، والبحث في مايميز القراءات بعضها عن بعض، وذلك تبعا للمقترحات النظرية التي سعت على تقديم نموذج قرائي يتسم بالتفرد والاختلاف، ويستخلص مرجعياته من الرؤية النقدية الخاصة بكل ناقد على حدة، وهذا ما يضمن لنا وجود قراءات نقدية جديدة تنزاح عن الأطر والنماذج المبرمجة والتقنية.

خامسا: سميائيات النص ومراتب المعنى:

ينطلق بنكراد في مؤلفه هذا من حديثه عن حركة النقد الأدبي العربي، والذي تميز في فترة ماقبل السبيعينات بعدم اهتمامه بالعمل الأدبي في حد ذاته، فهو لا يظهر عند الناقد إلا باعتباره وثيقة سياسية أو اجتماعية، ليأتي بعد ذلك التيار البنيوي الذي عدّه بنكراد بمثابة التباشير الأولى للتجديد في النقد الأدبي، فقد آمن نقادنا العرب بقدرة هذه النظرية على مدّهم بمفاهيم ومخططات تساعد على رصد العناصر التي تشكّل وحدة النص وتضمن

تماسكه وانسجامه، غير أنّ التوجه البنيوي على الرغم من أهميته فقد أوغل هو الآخر في الاهتمام بالشكل على حساب المضمون، فلم يحضر التأويل عند البنيويين إلا باعتباره طرفا فكريا لا يقترب علميا من النص، ليأتي التيار السّيميائي البنيوي ليكمل ما بدأته البنيوية، فقد عدت المعنى النقطة المركزية في التحليل،كما حاولت تجاوز حدود الممكن الخاصة بالنص لتنظر إلى الطريقة التي ينتج النص وفقها معناه، وأخيرا جاءت السيميائية التأويلية لتجعل من التأويل غايتها القصوى من التحليل، إنّها تبحث عن المعرفة الدالة داخل بناء النص ذاته، فالمعنى بالنسبة لها سيرورة تبنى من فرضيات القراءة.

لقد حاول بنكراد من خلال تأليفه لهذا الكتاب " رسم بعض الخطوط الخاصة بمجموعة من الرؤى التحليلية التي تخص نصوصا من كل الطبائع[29]، وذلك قصد مد يد العون للباحثين من أجل حثهم على استحضار تأملات المعنى في كل قراءة نقدية.

عنون بنكراد الجزء الأول من هذا المؤلف ب" السميائيات وقضايا النص" ، تناول فيه مجموعة من القضايا من بينها: موضوع السميائيات و مفهوم العلامة والتأويل النصي والأسس التي يرتكز عليها، كما تعرض فيه الناقد لمفهوم النص السردي باعتباره صناعة للمعنى، ومفهوم التناظر عند غريماس، والأبحاث الدلالية عند رولان بارت وتصوره للأسطورة، كما تطرق لنظرية غريماس السردية وأهم الانتقادات الموجهة إليها.

أما القسم التطبيقي من الكتاب فتناول فيه الناقد المواضيع التالية:

- "السرد سلطان الزمان": يرى الباحث أنّ أهمية السرد في حياة الإنسان ووظيفته المركزية تتمثل في بناء وإعادة بناء الحاضر والمستقبل وخلقهما.

- " السرد وممكنات النص" فالسرد - في نظر بنكراد - أداة لتصوير الممكن وليس إعادة تصوير الواقع أو محاولة لتمثيل بعض من تفاصيله، ذلك أنّ الذات لا يمكن اعتبارها مصدرا موثوقا للحقيقة، إضافة إلى أنّ الضمير الدال عليها " الأنا" لا يمكنه استحضار كل سياقات الحياة الواقعية أو من عوالم الاستيهام.

- " الإشاعة": يعتبر بنكراد أنّ جزءا كبيرا من المعرفة التّي يعتمدها الناس في تدبير شؤونهم اليومية جلها مبنية على شكل إشاعات،

- " مراتب المعنى"، يرى الباحث وجود تراتبية في المعنى تمنح الأعمال الفنية قدرة على التخلص من المعنى المباشر، ويقسم المعنى إلى ثلاثة أنواع: : معنى بدئي، ومعنى ثانوي، ومعنى

جوهري، يرتبط الأول بالجانب الشكلي للعمل الفني، أمّا الثاني فهو حاصل الاستعمالات الرمزية للعمل الفني، في حين لا يمكن تحديد المعنى الجوهري في العمل الأدبي إلا باستحضار تاريخ الأمة وثقافتها.

- "الأنانية والرجيل في سميائيات الأنوثة" فالمذكر والمؤنث – حسب رأي الناقد - يشكلان محورا دلاليا واحدا لا يمكن الفصل بين حديه فعلاقتهما علاقة تكاملية في النحو والتركيب والتناسل الإيديولوجي،أمّا على مستوى الدلالة فعلاقتهما إقصائية لا يتمتع فيها التأنيث بنفس قيمة التذكير. " الإنسان كائن لغوي" : فاللغة في نظر بنكراد " قوة ذات سلطان"، فهي لم تخلق من أجل منفعة الإنسان فحسب بل من أجل رصد انفعالاته النفسية والفصل بينها أيضا، كما يعدها غطاء لأهواء النفس المختلفة ورابطا بين الإنسان وعالمه الخارجي.

- "اللغة والقاموس": يرى بنكراد أنّ تاريخ الكلمات مودع في قاموس أمّا قيمتها في التّبادل فتتحكم فيها ذات المتكلم وانطلاقا من ذلك فإنّ لكلّ لغة تفاوتا في " المؤسسة اللسانية" ناتجا عن الأعراف والتقاليد المعرفية، وعن حضور اللغة في الممارسة الفعلية، ويدعو بنكراد إلى إقامة قواميس شاملة للغات الدارجة، إلا أنّه في الوقت ذاته يرى أنّ القواميس الدّارجة ضعيفة ذلك أنّ النّاس لا تحتاج في حياتها اليومية إلى استخدام القواميس.

- "سميائيات التواصل السياسي محاولة لفهم ما جرى" فالخطاب السياسي يستند في معظمه إلى الأهواء، فهو يقوم على الانفعالات التي تنظم الفضاء السياسي ومتطلباته في التوجيه والإغراء والتضليل، وذلك من أجل دفع المتلقي للانسياق وراء قناعات المخاطب.

لقد قدم بنكراد في مؤلفه هذا حوصلة عن أغلب التيارات النقدية السيميائية التي جعلت من السرد موضوعا لها على اختلاف أنواع النصوص السردية (روايات، إشاعات، قواميس، خطابات سياسية...)، والملاحظ على مقالات الكتاب أنّها كانت في أغلبها ذات طابع نظري رغم تقسيمه المؤلف إلى جزأين نظري وتطبيقي، كما أنّها غير مترابطة فيما بينها والقاسم الوحيد المشترك بينها أنّ أغلبها تسعى للقبض على المعنى في نصوص سردية، إضافة إلى إغراقها في الفلسفة في كثير من الأحيان، الأمر الذي لا يزيد قارئها إلا حيرة واضطرابا[30].

خاتمة:

وفي الأخير ومن خلال تتبعنا للمسيرة النقدية للناقد السعيد بنكراد انطلاقا من بعض مؤلفاته يمكن استخلاص النتائج التالية:

- لم يخرج بنكراد من خلال أغلب مؤلفاته عما جاءت به الدراسات الحديثة في النقد الأدبي، فهو كغيره من النقاد المعاصرين ينطلق في مقارباته من النص باعتباره إبداعا متفردا،

- سعي بنكراد لتطويع الاتجاهات النقدية المعاصرة لتتوافق والنصوص العربية، رغم ما واجهه من تشتت واجتزائية وانتقائية في أسس كل منهج واستراتيجيته.

- إنّ التعدد المنهجي في مؤلفات السعيد بنكراد، يبين رغبته في تجاوز النقد التقليدي،و مسايرة التطور النقدي والنضج الفكري في النقد الغربي ،فقد طرق باب البحث اللساني في فترة مبكرة من خلال مؤلفه " السيميائيات السردية – مدخل نظري".

- دعا بنكراد إلى ضرورة الاستعانة بالمناهج النقدية الغربية، والتجريب على آلياتها، وذلك لما لهذه المناهج من دور في الكشف عن مكنونات النصوص، كما حرص على التعامل معها تعاملا ذكيا باستثمار النظريات النقدية العربية والعمل على بناء نظرية عربية حداثية تجمع بين هذين التيارين.

- محاولة بنكراد الدائمة لمواكبة كل جديد في مجال النقد الأدبي ومقاربة النصوص السردية بشتى أنواعها (رواية، صور إشهارية، خطابات سياسية وغيرها)، دون الاكتفاء بالآراء المسبقة والإجراءات النظرية،

- تطعيمه المنهج السيمائي في كل مرة ببعض الأدوات الإجرائية لمناهج أخرى كالبنيوية والتأويلية والأيديولوجيا وغيرها، وهذا ما يوضح النظرة التكاملية غير المقيدة في مقاربة النصوص السردية، مع العمل في كل مرة على اختيار الأدوات الإجرائية السيميائية المناسبة لكل نص..

- دعوته إلى التعدد المنهجي في مقاربة النص الأدبي، فالقراءة في رأيه ترتكز على تصورات تفرضها طبيعة النص الذي يبني معانيه استنادا إلى قوانين لا يمكن القبض عليها إلّا بالاعتماد على فرضيات تتعلق بشروط إنتاج المعنى وتداوله، وهذه الفرضيات لا تمثل منهجا محددا، إنّما هي آليات تحليلية تفيد من تصورات نظرية متعددة.

- تتميز كتابات السعيد بنكراد خاصة على المستوى الأسلوبي، بأنّها يمكن تصنيفها في النقد الذي يغلب عليه الغموض والضبابية والالتواء، وذلك لغلبة التفكير الفلسفي عليه، وهي سمة ظاهرة في جلّ كتابات بنكراد خاصة التي ألفها في الفترة الأخيرة .

[1] - السعيد بنكراد، ممكنات النص ومحدودية النموذج النظري، مجلة بحوث سيميائية، تلمسان، الجزائر، العدد 2، 2006 ، ص:59.

[2] - السعيد بنكراد، السميائيات السردية، مدخل نظري، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب، 2001،د/ت،ص: 05.

[3] - المرجع نفسه، ص: 05.

[4] - المرجع نفسه، ص: 08

[5] - المرجع نفسه، ص: 91.

[6] - ينظر: المرجع نفسه، ص: 05

[7] - عبد الله أبو هيف، النقد الأدبي العربي الجديد في القصة والرواية والسرد، منشورات إتحاد كتاب العرب، ط1ن 2001،ص: 411.

[8] - المرجع نفسه، ص:411.

[9] - حوار الغزال إسماعيل مع السعيد بنكراد، الخميس: 19 يونيو 2014،

[10] - قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر،ط1، 2014، ص: 82.

[11] - السعيد بنكراد، النص السردي نحو سميائيات للأيديولوجيا، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 1996، ص:05.

[12] - المرجع نفسه، ص: 08

[13] - المرجع نفسه، ص: 08

[14] - المرجع نفسه، ص:08

[15] - المرجع نفسه، ص: 14.

[16] - المرجع نفسه، ص: 100.

[17] - المرجع نفسه، ص: 101

[18] - المرجع نفسه، ص: 134.

[19] - المرجع نفسه، ص: 151

[20] - المرجع نفسه، ص: 160

[21] - السعيد بنكراد، شخصيات النص السردي، دار مجدلاوي، الأردن ط1، 2003، ص:11.

[22] - المرجع نفسه،102.

[23] - المرجع نفسه، ص:103.

[24] - ينظر: المرجع نفسه، ص: 104.

[25] - ينظر:محمد فليح الجابوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث،منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص:182.

[26] - ينظر: السعيد بنكراد، السرد الروائي وتجربة المعنى،المركز الثقافي الغربي، الدار البيضاء، المغرب،ط:1، 2008 ص:08.

[27] -ينظر: السعيد بنكراد، السرد الروائي وتجربة المعنى، ،ص:08،07.

[28] - المرجع نفسه، ص: 18.

[29] - السعيد بنكراد، سيميائيات النص ومراتب المعنى،منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2018،ص: 14.

[30] - أحمد وهب رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، عالم المعرفة، الكويت، 1996د/ط، ، ص:17.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد وهب رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، عالم المعرفة، الكويت، ط/د، 1996.

2. السعيد بنكراد، السرد الروائي وتجربة المعنى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2008.
3. السعيد بنكراد، السميائيات السردية، مدخل نظري، مطبعة النجاح، الدار البضاء، المغرب، ط1، 2001.
4. السعيد بنكراد، سميائيات النص ومراتب المعنى، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2018.
5. السعيد بنكراد، شخصيات النص السردي، دار مجدلاوي، الأردن ط1، 2003.
6. عبد الله أبو هيف، النقد الأدبي العربي الجديد في القصة والرواية والسرد، منشورات إتحاد كتاب العرب، ط1، 2001.
7. قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر،ط1، 2014.
8. محمد فليح الجابوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013.
9. النص السردي نحو سميائيات للأيديولوجيا، دار الأمان،الرباط، المغرب، ط1، 1996.

المقالات:

10- السعيد بنكراد، ممكنات النص ومحدودية النموذج النظري، مجلة بحوث سيميائية، تلمسان، الجزائر، العدد 2.2006 .

اللقاءات:

حوار الغزال إسماعيل مع السعيد بنكراد، الخميس: 19 يونيو 2014.